الولايات المتحدة الاميركية ، وخاض وصفي سنة (١٩٥٧ — ١٩٥٨) المعركة الى جانب القصر في صراعه مع الجماهير ومع الحركة الوطنية . وحينما قامت ثورة ١٤ تموز ، واهتز العرش الاردني ، ذهب وصفي الى طهران ليقوم بدوره في التنسيق مع الرجعية الايرانية ضد العراق الجمهوري .

ولكن المعركة اشتدت ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦١ بين الحركة الوطنية العربية ، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة وما بين الرجعية العربية . وكان الاردن في خط القتال الاول . ولهذا استدعي وصفي التل ، ليكون رئيسا للتوجيه القومي . وفي هذه الفترة حدث الانفصال . وما ان بدأ النظام في العراق ينحرف ، حتى اختير وصفي ليلعب دوره في دفعه نحو الهاوية ، وفي رفع نطاق العزلة عن الاردن .

وصفي رئيسا للوزراء (٦٢/١/٢٦ — ٦٣/٣/٢٦) :

اصبح وصفي سنة ١٩٦٢ رئيسا للوزراء ، اول مرة، وكان لا يتجاوز الثانية والاربعين، وكان صغير السن ، بالنسبة للذين كانوا يشغلون منصب رئاسة الوزارة في الاردن ، مثل ابو الهدى وسمير الرفاعي ، وابراهيم هاشم . ولكنه جاء في وقت كانت الظروف العصيبة التي يعيشها النظام تقتضي وجوده ، ذلك ان الرجعية عادت الى وضعها الحرج بعد ثورة اليمن ، وبعد مشاركة الجيش المصري في حمايتها . وكانت المعركة التي اخذت تدور على ارض اليمن بحاجة الى وزارة قوية ، يقودها رجل قادر على دخول حلبة الصراع . واكتشف النظام الاردني وقتها رجله ، وكان وصفي التل ، الذي اعتمد عليه النظام خلال السنوات (٥٥ — ٦٢) في تنفيذ مهمات على مستوى كبير من الخطورة . ولكن المهمة التي اوكلت الى وصفي هذه المرة تختلف جذريا عن كل المهمات السابقة ، وهي اكثر خطورة وتعقيدا وارفع مستوى من كل المهمات السابقة .

لقد كان وصفي من اصلب عناصر النظام عودا واشدها مكسرا ، واكثرها حيوية وعنفوانا ، واغناها خبرة وتجربة . فهو عسكري « مثقف » ، وهو سياسي صاحب تجربة واسعة ، وهو رجعي « واع » ، اختار مكانه وحدد ولاءه ، وقرر ان يكون في جبهة الرجعية ، المهزومة تاريخيا .

واستهدف مجيء وصفي الى رئاسة الوزارة آنذاك غايتين : الاولى : تجديد السلطة وارساؤها على اسس اسلم واقوى ، تجعلها قادرة على مواجهة عمليات التغيير في المنطقة ، وعلى لعب دور اكبر في المنطقة العربية . الثانية : ملء الفراغ السياسي الذي نشأ عن الانفصال وعن انحراف قيادة ١٤ تموز .

ولهذا بدأ داخليا بمحاولة اجراء انتخابات ، تكسب السلطة نوعا من الشرعية ، وأخذت اجهزة النظام تطبل وتزمر للانتخابات النزيهة . ولكن القوى الوطنية قاطعت الانتخابات ، وطالبت الجماهير بمقاطعتها ، فأسدت أول خطط وصفي عليه(٥). وبدلا من ان ينتزع شرعية جماهيرية للنظام ، قام بعمليات اعتقالات بعد الانتخابات مباشرة ، واتبعها بعمليات اعتقالات أخرى(٦).

وكانت حكومة وصفي المطعمة بالعناصر الشابة قد باشرت بجملة اصلاح الادارة الحكومية . واستهدفت عملية الاصلاح ما يلي : ١ — جعل دوائر الدولة اكثر كفاية واكثر فعالية ، وذلك لتكون اكثر قدرة على حل مشاكل الناس وتسيير الاعمال . ٢ — زيادة فعالية اجهزة وزارة الداخلية وقوى الامن ووزارة الخارجية ، وهي الاجهزة ذات العلاقة بحفظ الامن داخليا وبالعلاقات مع الخارج. وكانت الغاية من مثل هذه الاجراءات : ١ — استيعاب أكبر قدر من خريجي الجامعات في دوائر السلطة ، وذلك من أجل استقطابهم للسلطة وابعادهم عن الحركة الوطنية . وقد ركز وصفي على ابناء الضفة الشرقية بالذات ، بينما كان الفلسطينيون يهاجرون خارج الاردن للعمل . ٢ — استمالة قطاع واسع من الناس ، بالحديث عن ضرب العناصر الفاسدة في السلطة وتيسير الاجراءات في دوائر الحكومة . ٣ — زيادة قدرة اجهزة الدولة على مواكبة التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تحدث في الاردن ، وعلى المساهمة في توجيهها .

اما خارجيا ، فقد حاول ان يدعم حكم الانفصال ، وان ينمي العلاقات مع الحكم المنحرف في بغداد . ولكن المفاجأة التي احدثتها ثورة اليمن ، يلبلت مخطط الاردن ، فاضطرت السلطة الاردنية الى ان ترمي بثقلها كله ، سياسيا وعسكريا في المعركة .

وبينما كانت الرجعية العربية تتراجع في اليمن فاجأت حركة الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية حكومة الاردن ، وفشل وصفي التل وحكومته الشابة داخليا ، لان الجماهير اكتشفت